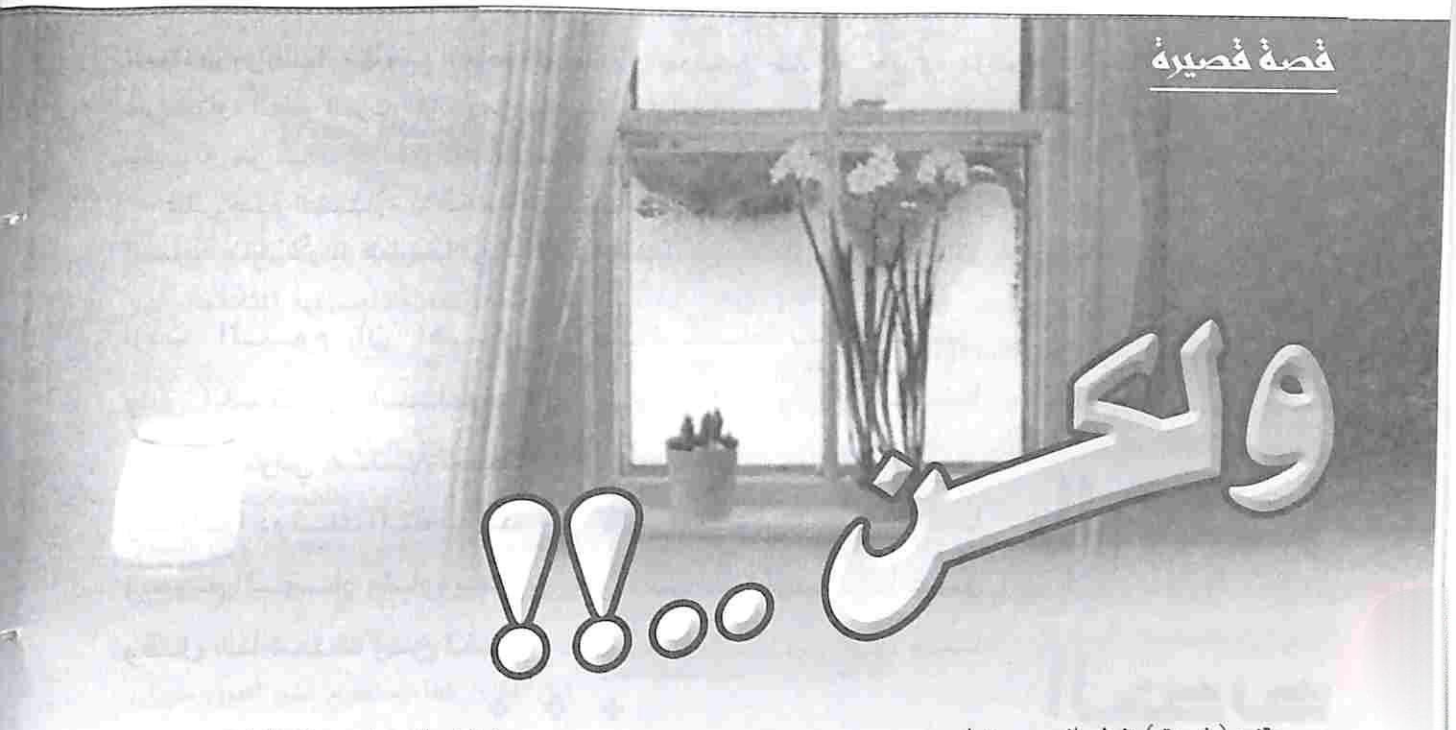

# ولكن..!!

بقلم : محمود حسين
مصر

وقفت(شروق) تنظر إلى صورتها المنعكسة في مرآتها البالية، لا تكاد ترى من خلالها جمال وجهها..

وسرعان ما سرحت بل هوّمت إذ تذكرت عبارات الإعجاب التي تسمعها كثيراً من زميلاتها في كلية الآداب.. اللاتي يطلقن عليها ملكة جمال الكلية..! مما يزيد من إحساسها بالثقة في نفسها..!

ولكن..

آه.. من العبارات الجريئة التي تطلقها جارتها وزميلتها في الكلية(سهام).. فلها مذاق خاص.. تدغدغ مشاعرها.. تجعلها تشعر بأنها ملكة جمال الكون..! إحساس جميل..! ما كادت تحلق في فضائه حتى تذكرت دعوتها الأكثر جراءة لها :

- لابد من أن تستغلي هذا الجمال قبل أن يذبل..!

ترتسم علامات الدهشة فوق وجه(شروق) فتزيده احمراراً وخجلاً..!

تقول سهام : انظري إلى ملابسي.. مجوهراتي..

تتبدل دهشة(شروق) إلى حيرة..! تعبر عنها بأسئلة صامتة..!!

تقول سهام بثقة مصطنعة فضحتها عيناها الزائغتان. ونبرات صوتها الحزين :

- وصلتني أسئلتك..!! نعم.. أنا من أسرة أشد فقراً من أسرتك.. ومازالت كما تعلمين.. أسمع همسات أهل حيّنا المستغربة.. المستنكرة.. ألمح الشك في عيونهم.. لم أعد أحتمل شظف العيش.. ذل الفقر.. حتى متى؟ طرحت همساتهم وشكهم وراء ظهري.. لم أعد أعبأ بهذا.. انطلقت لتحقيق أحلامي .. نجحت كما ترين..

لم تستطع(شروق) مقاومة سؤال متطفل.. صريح.. ملّح.. فأطلقته كسهم يعرف هدفه إلى(سهام) :

- من أين لك كل هذا وأنت ما زلت على حالك التي أعرف؟!..

تقول سهام بابتسامة مفتعلة : الأمر أبسط مما تتخيلين..!

- كيف؟!

- عن طريق الراقصة المشهورة مدام(لولو) .

- شروق متعجبة :(لولو)..!!

- نعم.. ألا تعرفينها؟!

- شروق.. متعجبة.. ساخرة : ومن في البلد لا يعرفها!!.. شاهدتها مؤخراً مع ملايين غيري في البرنامج التليفزيوني الشهير الذي أذيع عقب الإفطار في شهر رمضان الفائت.

وسمعت القصة التي روتها من أنها بدأت من سن الثانية عشرة عندما هربت من أهلها..!! وعملت راقصة مغمورة.. ثم راقصة معروفة.. ثم راقصة مشهورة.. وهي أعلى درجات سلّم الرقص..! وأصبحت الآن فنانة متعددة المواهب.. تفتح لها الأبواب المغلقة..! وتملأ لها الخزائن..! رأيتها وسمعتها وهي تتحدث عن(هذا الكفاح المشرف)..!! ولسان حالها يدعو للاقتداء بها.. ممن تريد أن تصل إلى ما وصلت إليه من جاه ومال..!! خاصة عندما قالت : انظروا إلى ما أنا فيه الآن..!

- سهام في عزيمة وإصرار : سأكون أفضل منها.. فأنا أملك موهبة كبيرة في الرقص.. وأنا الآن نظراً لظروف الدراسة أقدم وصلة رقص واحدة في «الكازينو» السياحي الذي تملكه..! وعندما أنتهي من دراستي هذا العام وأحصل على الليسانس.. سوف أتفرغ تماماً للرقص وسأعمل في أكثر من "كازينو".. وسأحقق الانتشار.. وسأنطلق إلى عالم الشهرة والمال..

❖❖❖

تهبط سهام بأحلامها التي كادت تلامس بها السحاب.. إلى حيث الواقع.. المهمة الآن أصبحت أسهل.. فالكلام الآن أصبح على المكشوف.. لابد من جذب(شروق) ذات الجمال الصارخ إلى الطريق نفسها.. قربة إلى مدام(لولو).. وعوناً قوياً تُسكِتُ به بقايا ضميرها..

تنظر(سهام) في عيني(شروق) - الساكنتين الشاردتين- تستبشر.. تمني نفسها بنجاح المهمة.. تطلق كلماتها بصوت ناعم حنون : لابد لنا من اغتنام الفرصة.. فهي لا تأتي سوى مرة واحدة.. مدام(لولو) في انتظارك على أحر من الجمر.. حدثتها كثيراً عن جمالك ورشاقتك.. موعدنا معها الليلة القادمة.. أتركك الآن.. سأنتظر ردك صباحاً..

❖❖❖

تفرك عينها.. تمعن النظر في المرآة.. تبحث عن مساحة صافية!..

لا فائدة.. إنها بالية..

تشعر بنقمة تملأ صدرها.. كل شيء حولها متهالك.. أثاث غرفتها تشتم منه رائحة الماضي البعيد.. فهي ورثته عن أختها الوسطى.. حي شعبي ضارب في جذور التاريخ.. أهل الحي معظمهم فقراء.. لا يكاد راتب والدها يكفي نفقات معيشتهم المتواضعة..

تغلي الدماء في عروقها..! كحمم بركانية منصهرة..! ثائرة..! تسقط دمعة حسرة..! يوقظ لهيبها شوقاً دفيناً في أعماقها لآمال وأحلام..!

تتنهد بحرقة.. تمسح دمعتها.. فقر مدقع.. آثاره واضحة.. مؤلمة.. محبطة..

يكاد رأسها ينفجر..!

تتذكر دعوة(سهام)..

- ولماذا لا أفعل مثلها؟

هي صادقة مع نفسها.. استطاعت أن تحدد هدفها.. سعت إلى تحقيقه.. حاربت فقرها.. انتصرت عليه.. ترشدها معالم ومكاسب قدوتها الواضحة كوضوح النهار وقت الضحى..!!

ماذا أنتظر؟!

أأنتظر فارس أحلامي الشريف الذي قد أعيد معه قصة الحرمان..؟!

❖❖❖

تدخل عليها أمها مهنئة بحلول العام الهجري الجديد.. طالبة منها مشاركتها - كعادتهما كل عام - في مشاهدة الفيلم الديني الذي يعيد عرضه التلفاز مرة واحدة في السنة!!

تأخذها أحداث الفيلم من أحزانها..! تتابع سيناريو وحوار الفيلم بانفعال شديد..! وكأنها تشاهده لأول مرة.. يلفت انتباهها رد(هند بنت عتبة) على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مبايعة نساء مكة له، حين أمرهن(ولا يزنين) فترد(هند) متسائلة..متعجبة..(وهل تزني الحرة؟!)..

❖❖❖

تحاور نفسها : الرقص فن راق.. مهنة.. أموال كثيرة.. تنقذني من الفقر.. سأحقق أحلامي..

لن أنحرف..! لن يجرفني التيار..!

ولكن..

كيف؟!

ترتعد ..تنهمر دموعها.. تردد في صمت.. أوتزني الحرة؟!

ترتمي فوق فراشها..! تزداد رعشتها..! تغرق وسادتها..!

تهدأ.. ترى شعاع نور يخرج من ظلمات أعماقها..!

تمتد أصابعها إلى المذياع.. برنامج لغتنا الجميلة.. تنصت..

- يتحدث مقدم البرنامج - ذو الصوت الرخيم - : أصدق أمثال العرب «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها..!!».

❖❖❖

ترددها مرات ومرات بصوت صارخ.. مكتوم..!

«تجوع الحرة ولا تأكل بثديها..!!» ■